الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العقيد أكلي محند أولحاج–البويرة–
كليّة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

جامعة البويرة

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj -Bouira-
Tasadawit Akli Muhend Ulhag - Tubirett-
Faculté des lettres et des *lan*gues

التخصّص: نقد حديث ومعاصر

دراسة سوسيولوجية لرواية "رجل في الخمسين" لحميد عبد القادر

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:
- **خيتر وردية**
- **مزهود حنان**

إشراف الدكتور:
جبارة إسماعيل

لجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستاذ	الجامعة	الصفة
غنية لوصيف	جامعة البويرة	رئيسة
جبارة إسماعيل	جامعة البويرة	مشرفا ومقرر
بوعلام العوفي	جامعة البويرة	مناقشا

السّنة الجامعيّة: 2021/2020

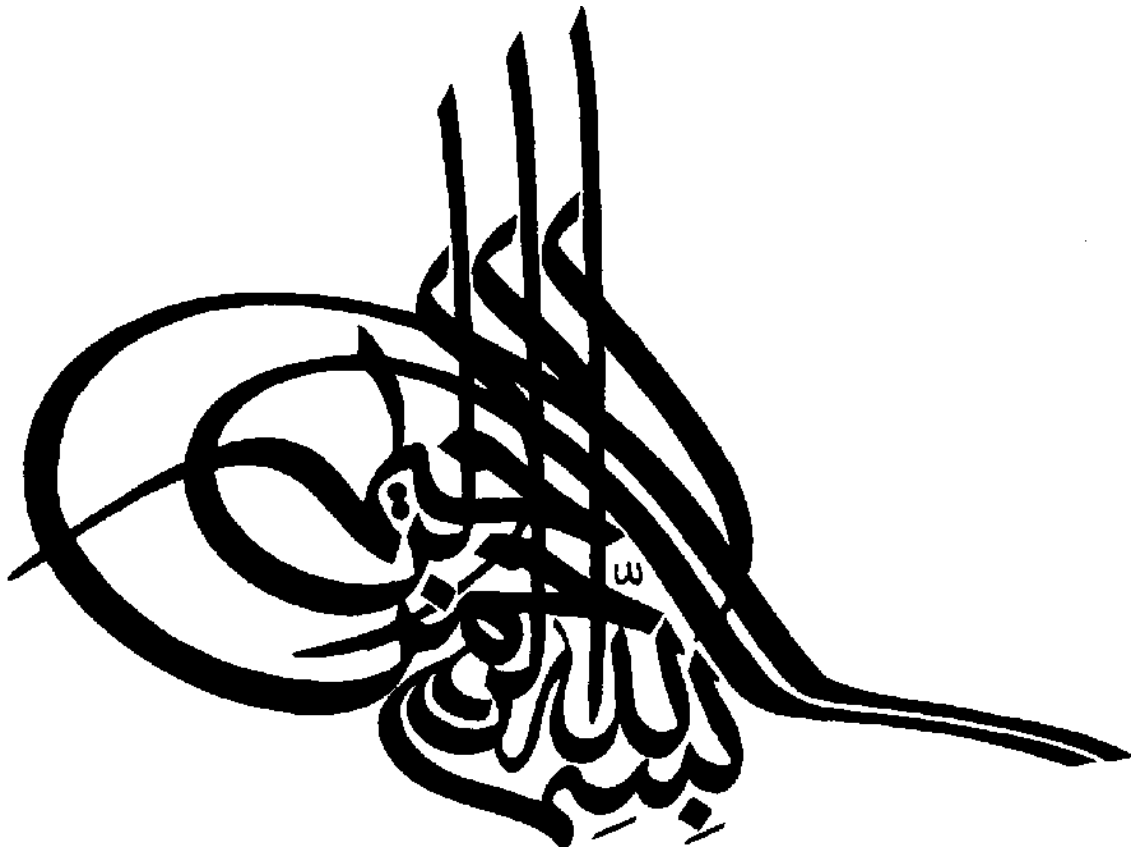
بسم الله الرحمن الرحيم

«اللَّهُـــمَّ
انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي،
وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي،
وارْزُقْنِي عِلْماً تَنْفَعُنِي بِهِ»

شكر وتقدير

أشكر الله تعلى القدير الذي أنعم عليّ بنعمة العقل والدين القائل في محكم التنزيل: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ صدق الله العظيم سورة يوسف 76.

وقال رسول عليه الصلاة والسلام : ((من صنع إليكم معروفا فأكفؤه فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنّكم كافأتموه...)) رواه أبو داوود.

وأثني ثناء حسنا على...

وأيضا وفاء وتقديرا واعترافا مني بالجميل أتقدم بالجزيل الشكر لأولئك الذين لم يألوا جهدا في مساعدتنا في مجال البحث العلمي، وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل أستاذ جبارة إسماعيل على هذه الدراسة في توجيهي ومساعدتي في تجميع المادة البحثية فجزاه كل الخير والتقدير والعرفان.

ولا أنسى أن أتقدم بالجزيل الشكر..... الذي قام بتوجيهنا طيلة هذه الدراسة.

وأخيرا، أتقدم جزيل الشكر إلى كل من مدوا لي يد العون والمساعدة في إخراج هذه الدراسة كل أكمل وجه وشكرا.

إهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى:

بهجة الروح، إلى ذرة الحب في قلبي ونسيم التفاؤل في فكري، ووردة العطرة وفرحة أفراحي، إلى من وضعت جنة الرحمان تحت أقدامها، ومدرستي وقدوتي ومصدر إلهامي أمّي الحبيبة أطال الله في عمرها.

إلى من شق بي بحر العلم والتعلم وكان مصدر فخري، إلى الذي كان ومازال سمعة تحترق لتضيء دروبنا "أبي" العزيز أطال الله في عمره، لك حبي طيلة حياتي ولي منك الدعاء.

إلى قرعيني، وإلى شمسي التي لا تغيب، نبع العطاء، الأمل الدائم، وإلى الذي استطاع أن ينير لي دربي إلى العلم بتقديمه لي النصائح والإرشادات طيلة فترة دراستي زوجي العزيز، ومصدر فخري وحبي الأبدي "عيماد" شريك حياتي.

وإلى صديقاتي العزيزات دون استثناء اللواتي مشيت معهن وتشاركنا،

وإلى الذين ساندوني ودعموني وكانوا مخلصين،

وإلى كل من الأساتذة الكرام الذين درسونا خلال مسيرتنا الدراسية، وكل من ودّهنا بنقده وملاحظاته،

وإلى كل حاملي لواء العلم أينما كانوا.

وردية

إهـــــداء

بسم الله أبدأ كلامي... بفضله وصلت لمقامي إليك، يا منبع الأمل الصافي الحنون والأمل المشرق الذي لا يغيب.

إليك أهدي عبارتي وعملي وأزكى تحياتي بين يديك...

وفي دفئ قلبك احتميت،

أنتِ الحب والحنان والجنة تحت قدميك.

إلى من ربتني وأشارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات أمي الغالية.

اللهم أطل في عمرها وأرزقها أعلى درجات الجنة،

إليك يا من أحمل اسمه بكل افتخار، إلى أجمل ما وهبني الله في هذه الحياة، الهيبة العظمى والمنحة الأسمى معلمي وحبيبي أبي،

أنت نبع الحنان الأسمى، أنت من علمني معنى الحياة،

إليك أهدي حبي وعملي وجهدي أبي العزيز أدامك الله لي.

إلى أجمل أسماء الدنيا، إلى شموع أضاءت لي دربي إخواتي (لوناس، أعمر)، وأخواتي (كهينة، جيجيقية، سارة، فاطمة).

حنان

مقدمة

لقد نالت الرواية مكانة مرموقة في هذا العصر، ولاقت اهتماما كبيرا من طرف النقاد والدارسين والأدباء العرب بوصفها تطرقت إلى مجموعة من القضايا الراهنة ومعالجتها للقضايا الشائكة وامتلاكها مقومات التأثير في المجتمع. إذ تعتبر الرواية من الفنون الأدبية حديثة الظهور أطول من القصة وتتميز بسردها لمجموعة كبيرة من الأحداث بأسلوب نثري وقد تكون شخصيات الرواية حقيقية وقد تكون خيالية وقد تجري أحداثها في أماكن وظروف غريبة خيالية، إذ تميز الرواية بعنصر التشويق حيث تجعل القارئ يغوص في عالمها ويعيش الحدث بشكل مستمر، والراوي البارع هو من يوهم القارئ بحقيقية معينة ويبعد أنظاره عن الحقيقة الأصلية.

وفي بحثنا هذا اخترنا رواية "رجل في الخمسين" لروائي "حميد عبد القادر" لأنّها جسدت الواقع النفسي والاجتماعي بكثرة في الأغلب المناسبات لطبيعة الدراسة، ولقد اتبعنا المنهج السوسيولوجي في دراسة الرواية، ومن هذا المنطلق طرحنا الإشكالية التالية:

ما علاقة الأدب بعلم الاجتماع ؟ وما مفهومه ؟ وكيفية نشأته ؟ وما هي أهم مبادئه ؟ وكيف كان موقف الأديب من قضايا المجتمع ؟

وكيف صوّر الروائي "حميد عبد القادر" العالم الداخلي للشخصيات وانعكاساته على الجانب الاجتماعي ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا أن نقسم بحثنا إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

وفي مدخل هذا البحث تناولنا الحياة الفكرية لروائي "حميد عبد القادر"، تطرقنا إلى نشأته وتكوينه وذكر أهم مؤلفاته، ثم يليه الفصل الأوّل تحت عنوان "علاقة الأدب بعلم الاجتماع"، تطرقنا فيه إلى علاقة الأدب بعلم الاجتماع، مفهوم المنهج الاجتماعي ونشأته وأهم مبادئه وموقف الأديب من قضايا المجتمع.

ثم يليه الفصل الثاني فهو جانب تطبيقي جاء تحت عنوان "الأبعاد الاجتماعية التي تناولتها الرواية، تطرقنا فيه إلى ملخص الرواية، أهم أبعاده، ووصف سلوكات الشخصيات في الرواية، تناولنا فيه تعريف الشخصية في الرواية من منظور النقد الاجتماعي، ثم عرجنا إلى الشخصيات الرئيسية والثانوية.

وأنهينا بحثنا بخاتمة، التي كانت حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها.

واعتمدنا في دراستنا على جملة من المراجع وأهمها: "في نظرية الأدب لشكري عزيز ماضي"، و"تحليل النص السردي لمحمد بوعزة".

ولقد صادفتنا بعض الصعوبات تكمن ضيق الوقت، وصعوبة الدراسة التطبيقية.

وفي الأخير نحمد الله بما يليق بحلاله على توفيقه لنا، ونرجو أن يلقى بحثنا القبول والتقدير ويستفيد منه من لحقنا.

مدخل

مدخل: الحياة الفكرية لحميد عبد القادر

أ- نشأته وتكوينه.

ب- أهم مؤلفاته

مدخل:

أ- نشأته وتكوينه:

حميد عبد القادر روائي جزائري، يكتب بلغتين العربية والفرنسية، له مؤلفات في الرواية والأدب والتاريخ الجزائري المعاصر.

ولد الأديب الجزائري عام 1967[1] في عين البنيان غرب العاصمة وهو خريج الإعلام والعلوم السياسية جامعة الجزائر، وهو حاليا صحفي وأستاذ مدرس في نفس الكلية. عمل في الإعلام والصحافة منذ الثمانينات كرئيس الركن الثقافي ليومية جديدة "الخبر" الجزائرية نال جائزة "الخبر" الدولية "عمر أورتيلان" لحرية الصحافة بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة، التحق بممارسة الصحافة 1990.

تندرج أعماله السردية ضمن التيار الواقعية الرمزية برصدها أهم التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري خلال العقود الأخيرة، فهو لا يكتفي بكتابة الرواية فقط بل يكتب عنها ويحاور كتابها.

وقد أصدر في هذا الباب "أصفار الزمن البهي" عن منشورات éأناب" 2013 والرواية "مملكة هذا العصر" عن منشورات "دار ميم".

ولقد أجرى حميد عبد القادر حوار مع "التراجزائري" فيه يفكك حميد القادر السياقات التي أحاطت بنشوء الفن الروائي وبهيمنته على بقية الأجناس الأدبية، والتحولات التي عرفها، ويقدم رؤيته الخاصة له بصفاته كاتبا وقارئا.

1- الروائي حميد عبد القادر لمسارب أنا كاتب أمازيغي ولا أتصور نفسي غير ذلك، موقع مجلة لمسارب نشر بتاريخ 13 فبراير 2012، أطلع عليه في 22 يونيو 2015 نسخة محفوظة 20 ديسمبر 2016 على موقع وياي باك مشين.

ب-أهم مؤلفاته:

1- الروائية:

- الانزلاق صدرت في (1998-199).
- مرايا الخوف (2007).
- حكاية المقهى ملاكوف توابل المدينة (2013).
- أصفار الزمن البهي (مجموعة مقالات في الأدب والثقافة).

2- **التاريخية:**

- فرحات عباس رجل الجمهورية.
- دكتور لمين دباغين المثقف والثورة.
- هواري بومدين رجل وثورة (1954-1962).
- عبان رمضان مرفاعة من أجل الحقيقة.
- رجل في الخمسين 2019.

الفصل الأوّل:

علاقة علم الاجتماع بالأدب

الفصل الأوّل: علاقة علم الاجتماع بالأدب

1- علاقة علم الاجتماع بالأدب

2- تعريف المنهج الاجتماعي.

3- نشأة المنهج الاجتماعي.

4- مبادئ المنهج الاجتماعي.

5- موقف الأديب من قضايا المجتمع.

1- علاقة الأدب بعلم الاجتماع:

يعتبر علم الاجتماع من اهتمامات الأدب إذ يُعِدها ظاهرة اجتماعية مثل الأدب الأديب الأثر الأدبي القارئ الزمن الاجتماعي، وهذا ما يبرز لنا العلاقة بين الأدب والظروف الاجتماعية المحيطة به.

إنّ العلاقة بين الأدب والمجتمع ظهرت قديما أي من العلاقات القديمة جدا.

وعامة فإنّ علم الاجتماع بدوره يتفرع إلى عدّة فروع مختلفة وخذا نتيجة لتعدد الموضوعات والاهتمامات، فإنّ "علم الاجتماع الأدبي له أثر كبير في الحركة النقدية والأدبية العالمية، وقدم لها فوائد جمّة من خلال دراسات المتعددة التي ألقت بأضواء ساطعة على الظاهرة الأدبية"[1].

إذا كان معنى العام للعلم الاجتماع الأدبي يهتم بالعلاقة بين الأدب والظروف الاجتماعية فإنّنا نجد مواقف متعددة لعلماء الاجتماع تتباين إلى حدّ التناقض حول رؤية العلاقة.

إضاءة تاريخية:

إنّ كارل ماركس قد أتى بمفاهيم حول المجتمع وتطوره وذهب بالقول بالعلاقة الجدلية بين البناءين.

يعدّ المفكر الإيطالي "جيامبا تيشتافيكو" في كتابه المشهور "مبادئ العلم الجديد 1725"[2] من المحاولات منظمة للتناسق بين الأدب والواقع الاجتماعي أي تربط بينهم، ومن خلال هذا كلّه فنجد "فيكو" راح يقول بالعلاقة الموجودة بين الأنواع الأدبية والواقع الاجتماعي.

1- شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص 131.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 142

الأدب كإنتاج:

إنّ الأدب إنتاج من زوايا متعددة ومختلفة تماما عن مفاهيم النقد الاجتماعي، وهذا ما ذهب إليه علماء الاجتماع الأدبي البرجوازي. أي محاولة إظهار أنّ الأدب كإنتاج له علاقة وطيدة مع المجتمع كمستهلك. فالأدب لم يتم في فراغ أي أنّه في حقل اجتماعي ينتج فيه.الأدب كمؤسسة اجتماعية: الأدب من ناحية اجتماعية صار يعرف هذا المنهج بعلم الاجتماع الأدبي، وكانت نظرته من ناحية أنّه يستمد الأدب جانبه الاجتماعي من كونه مؤسسة اجتماعية أداته اللغة التي هي نفسها من خلق المجتمع.

فالأدب ينبثق من المجتمع ويكتب له ذلك أنّه يمثل الحياة تمثيلا حقيقيا والحياة هي الحقيقة الاجتماعية التي يمكن لنا استيارها من خلال الفكر والأدب، حيث نجد الأدباء والقراء في تفاعل أدبي لتشكيل هذه المؤسسة وهمهم الوحيد هو ازدهار هذا الأدب ليس إيقافه في حدّ من الحدود.

فالمسألة الاجتماعية بشكلها الكلي والضمني هي من أبرز المسائل التي يطرحها أو تظهرها الدراسة الأدبية[1].

يهتم الباحث في سوسيولوجيا الأدب بمحاور ثلاث ألاّ هي: نوعية الكتاب، نوعية القراء، دور النشر وبالعلاقات المؤثرة فيما بينها.

أولا: نوعية الكتاب: من اهتمامات الباحث نوعية الكتاب والأدباء وذلك في نطاق علم الاجتماع، والذي يقوم بدراسة نوعية الكتاب باختصار السوسيولوجية، فيرى "إسكاربيه"[2] أنّه إنّ من المؤثرات الأساسية تكمن في جودة ونوعية الكتاب أو في مسألة تتابع الأجيال هو أحداث من جانب ذاتي طابعي سياسي.

1- ينظر: شكري عزيز ماضي، ص 145.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 149.

ثانيا: نوعية القراء: إنّ الغاية الوحيدة للكاتب أنّه مهتم بالتواصل مع القراء ويتسم في بناء شخصية الفرد عن طريق تثقيف العقل واكتساب المعرفة، أي أنّها وسيلة لاتصال الفرد بغيره مما تفصله عنه المسافات الزمانية والمكانية كما أنّها ثروة الفرد بالأفكار والمعلومات.

فالقراء من أهم الوسائل أي من الأركان الأساسية في وجود الحقيقة الأدبية وعلم الاجتماع الأدبي يهتم بدراسة هذا الركن في علاقاته مع المحاور الأخرى.

نظر "اسكاربيه" إلى أن جمهور القراء يختلف باختلاف الموضوع والأسلوب ويبدو أنّ إسكاربيه يهتم بدراسة القراء من خلال أثرهم في اكتمال الدورة الاقتصادية للكاتب، كما أنّه بارز اهتمامه بالجانب الاجتماعي.

إنّ دراسة القراء ونوعيتهم وثقافتهم وميولهم وظروفهم الاجتماعية، من بين الأعمال المهمة والضرورية والمفيدة للدارس الأدبي. فالعلاقة التي تربط بين وظيفة العمل الأدبي والجمهور ونوعية هي علاقة جدلية وتناقض تهتم بالتأثير والتأثر[1].

إنّ الركائز الأساسية لوجوده لا تقف عند حدّ من الحدود بل تستمر لتصبح أكثر وأهم أهمية بالغة باعتباره مشاركا في إنتاج العمل.

ثالثا: دور النشر:

تختلف الأفضلية في دور النشر وتتم عبر مراحل ثلاث اختيار المخطوطة الأدبية ثم دفعها إلى المطبعة ثم توزيعها، حيث يوجد دور نشر، يتميز بإخراج الفني من حيث جودة الورق والتجليد للكتاب ومن جانب آخر يتميز بالإخراج العلمي من حيث سلامة النّص من التحريف هناك أيضا بعض دور النشر التي تتميز بالانتشار الواسع في كافة أنحاء العالم، يضيف "إسكاربيه"، فالناشر يؤثر في نجاح الكتاب وفي إخفاق آخرين، كما قد يساهم في تطوير مواهب البعض وفي قتل

1- ينظر: شكري عزيز ماضي، ص 152.

عبقرية آخرين كما أنّ الناشر يؤثر في الجمهور فيكرس لديهم عادات تتجلى في كيفية القراءة ونوعية الوعي، لذلك دور الناشر المعاصر لم يعد يعتمد على اتخاذ الدور الموفق بين عروض المؤلفين ومقتضيات الجمهور التي يراها مناسبة له.

حاول علماء الاجتماع دراسة الظواهر الاجتماعية من منظور علم الاجتماع، فظهر لهم عدم نجاعة هذا العلم في تحليل وتفسير الظواهر الاجتماعية، ثم قاموا بإنشاء علم اجتماعي جديد، يتمثل في التحليل الاجتماعي للأدب، الذي يقوم بدراسة الأدب من منطلقه الاجتماعي، وقام هذا المنهج على ثلاثة أبعاد: المؤلف من حيث طبقته الاجتماعية وحياته الشخصية، ومن ناحية العمل الأدبي والظواهر التي عالجها، والشخصيات الكامنة فيه، ومن ناحية الجمهور وكيفية تلقيه للعمل الأدبي[1].

ويعدّ "علم اجتماع الأدب ميدانا جديدا من ميادين علم الاجتماع، يهتم بالطابع الاجتماعي للأدب، أي الصلة بين الواقع الاجتماعي المعاش والأدب كإنتاج اجتماعي، أي أنّه يدرس العلاقة بين الأدب والمجتمع"[2].

وعلى هذا الأساس فإنّ "الدراسة السوسيولوجية للأدب تهدف إلى استخلاص أفكار الأدباء التي لها صلة وثيقة بالمجتمع، وربط الأدب ببناء المجتمع عن طريق علم اجتماع المعرفة ويمكننا الأدب من تعلم واكتساب جلّ المعارف المتصلة بالمجتمع، للإفادة منها في التحليل السوسيولوجي"[3].

1- ينظر" السيد يسين، التحليل الاجتماعي للأدب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1982، ص 09.

2- محمد سعيد فرح، مصطفى خلف عبد الجواد، علم اجتماع الأدب، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009، ص 20.

3- محمد علي البدوي، علم اجتماع الأدب (النظرية والمنهج والموضوع)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (دط)، 2011، ص 96.

تهتم سوسيولوجيا الأدب بعلاقة المجتمع بالعمل الأدبي، وتشير إلى نوع الصلّة القائمة بينهما كون العمل الأدبي من نابع من قريحة مبدع ينتسب إلى المجتمع بالضرورة، وهذا المجتمع من حيث الوجود سابق على العمل الأدبي، والمبدع يتطرق على عرض واقعه الاجتماعي، محاولا تغييره، موجها إبداعه هذا للجمهور المتلقي الذي يشكل هذا المجتمع ويعيد قراءاته من زاوية أخرى من خلال الأدب[1].

ونلاحظ أنّ "علم الاجتماع الأدبي بمعناه العام أثر تأثيرا كبيرا في الحركة النقدية والأدبية العالمية، وقدّم لها فوائد جمة من خلال الدراسات المتعددة التي ألقت بأضواء ساطعة على الظاهرة الأدبية"[2].

2- تعريف المنهج الاجتماعي:

يعد المنهج الاجتماعي من أهم المناهج في الدراسات الأدبية والنقدية، حيث ولد في حضن المنهج التاريخي واستمد منطلقاته منه، وعرّفه "صلاح فاضل" في كتابه "مناهج النقد المعاصر" بقوله: «المنهج الاجتماعي من المناهج الأساسية في الدراسات الأدبية والنقدية ولقد انبثق هذا المنهج –تقريبا– في حضن المنهج التاريخي، وتوّلد عنه استقى منطلقاته الأولى منه خاصة عند هؤلاء المفكرين والنقاد الذين استوعبوا فكرة تاريخية الأدب وارتباطه بتطور المجتمعات المختلفة وتحولاتها، طبقا لاختلاف البيئات والظروف والعصور بمعنى أنّ المنطلق التاريخي أنّه هو التأسيس الطبيعي للمنطلق الاجتماعي عبر محوري الزمان والمكان»[3].

1- ينظر: جان إيف ناديبه، النقد الأدبي في القرن 20، تر: قاسم المقداد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، (دط)، 1992، ص 225.

2- شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، 131.

3- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2007، ص 45.

وذكر "شوقي ضيف" في كتابه "البحث الأدبي" في قوله «وهذا يدفع الباحث إلى التعمق في طبقات المجتمع ومحاولة تبيين ظروفها وما بينها من علاقات ومدى تأثير هذه العلاقات في شخصيات الأدباء وما نهضوا به من دور أو أدوار في الحياة العامة»[1].

ومن هنا نقول أنّ المنهج الاجتماعي كان ظهوره الأوّل في القرن التاسع عشر من جهة الأدب، حيث يرتبط بالمجتمع وكل ما له علاقة بالواقع، حيث نجد أنّ الأدب يرتبط ارتباطا وثيقا مع الأنظمة الاجتماعية، "فمدام دي ستايل" تبنت المبدأ القائم أنّ الأدب تعبير عن المجتمع.

حيث يقول "سمير الحجازي" في كتابه "مدخل إلى مناهج النقد المعاصر": «الإرهاصات الأولى للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب ونقده ظهرت في القرن التاسع عشر، في كتابات "مدام دي ستايل" لتشير إلى دراسة الأدب من حيث علاقاته بالمؤسسات الاجتماعية، حيث أصدر عام 1800 كتابها "الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية"»[2].

كما يتحدث "صلاح هويدي" عن المنهج الاجتماعي: «ينطلق المنهج الاجتماعي من النظرية التي ترى أنّ الأدب ظاهرة اجتماعية وأنّ الأديب لا ينتج أدبا لنفسه، وإنّما ينتجه لمجتمعه منذ التفكير في الكتابة وفي أثناء ممارسته لها وعقب انتهائه منها، فالقارئ حاضر في ذهن الأديب وهو وسيلة وغاية في آن واحد»[3].

ويقول صلاح فضل في موقع آخر: «أنّ المنهج الاجتماعي هو الذي تبقى في نهاية الأمر من المنهج التاريخي، وانصبت فيه كل البحوث والدراسات التي كانت في البداية متصلة بفكرة

1- شوقي ضيف، في البحث الأدبي (طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره)، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د.ت)، ص 140.

2- سمير حجازي، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1،2004، ص86.

3- صلاح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، أسئلة ومقاربات، سوريا، ط1، 2015، ص 10-11.

الوعي التاريخي، إذ سرعان ما تحول هذا الوعي إلى وعي اجتماعي يرتبط بطبيعة المستويات المتعددة للمجتمع وفكرة الطبقات وكذلك يرتبط بفكرة تمثيل الأدب للحياة على المستوى الاجتماعي، وليس على المستوى الفردي، بمعنى أنّ كلما اعتبر عن الواقع الخارجي، كان مدخلا لربطها بتفاعلات المجتمع وأبنية ونظمه وتحولاته باعتبار هذا المنهج هو المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية والفنّية»[1].

ومن هذا القول لصلاح فضل يتضح لنا أنّ المنهج التاريخي هو الذي مهد الطريق للمنهج الاجتماعي وأصبح كالعملة الواحدة، فتبلور الوعي التاريخي إلى وعي اجتماعي ينطلق من فكرة المجتمع، ويقوم على المستوى الجماعي لا الفردي، فالأدب تعبير عن المجتمع وانعكاس على الواقع.

ونستنتج أنّ الأدب لا يكتب من عدم أي من الفراغ، بل تكون له أسبقية حول الموضوع أي مرجعية سابقة، فالأديب لا يكتب لنفسه بل يكتب لمجتمعه، أي قد تكون له دور إما سلبي أو إيجابي، ويجب على القارئ أن يكون حاضر في ذهن الأديب. فأولى علاقات هذا النقد أنّه يبين الصلة بين النص والمجتمع الذي نشأ فيه[2].

ويعرّفه "جورج لوكاتش" بأنّ المنهج الاجتماعي يقوم على قواعد وأسس وشروط لازمة لدراسة العمل الأدبي ويظهر ذلك في قوله «بأنّه منهج بسيط جدا يتكون أولا وقبل كل شيء من دراسة الأسس الاجتماعية الواقعية»[3].

1- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 45-46.

2- ينظر: محمد صايل حمدان، قضايا النقد الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1991، ص 66.

3- أنزيك أندرسون أمبريت، مناهج النقد الأدبي، تر: طاهر أحمد مكي، دار المعرفة الجامعية، السويس، دط، 2000، ص 103.

والأدب في الدراسات الأكاديمية يصوّر: «لنا الحياة الاجتماعية في الفترة التاريخية التي كتب فيها ويعطينا صورة واضحة عن وقائع اجتماعية محددة»[1].

ويتضح لنا من هذا القول أنّ الأدب يقوم بتصوير الحياة الاجتماعية في زمن معين ومحدّد عبر العصور، ثم يعطينا صورة واضحة عن هذه الوقائع بطريقة محددة أو أنّ الأدب يدرس الأعمال الأدبية من المنظور التاريخي ثم الاجتماعي.

3- نشأة المنهج الاجتماعي:

يذهب بعض النقاد أنّ البدايات الأولى للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب ونقده، بدأ منذ أن أصدرت "مدام دي ستايل" كتابها "الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية" عام 1800، الذي تناولت فيه العادات والتقاليد في الأدب وتأثير الأدب فيها، وتبنت المبدأ القائم أنّ الأدب تعبير عن المجتمع.

ولكن هناك بعض النقاد لا يرجعون نشأة المنهج الاجتماعي لهذه الفترة الزمنية، بل يعود إلى أزمان من قبل هذا.

المنهج الاجتماعي "يعني بالبحث عن الأصول الاجتماعية للأديب، وطبقته التي ينتمي إليها، والتجربة التي يسعى إلى التعبير عنها، ليتشارك فيها الآخرون، لتأثير في القراء، وفي ضمائرهم الاجتماعية بنوع خاص"[2].

لأنّ الأدب يعكس المجتمع، ولكل كاتب رؤيته خاصة به إلى المجتمع الذي يعيش فيه، مجسدا الظواهر الاجتماعية من خلال تفاعله مع الجماعة التي يتعايش معها، واضعا في ذهنه

1- محمد لبيدي، علم اجتماع الأدب، دار المعرفة الجامعية، السويس، دط، 2004، ص 103.

2- عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1، 2008، ص 89.

الجمهور الذي يكتب له، ويصور أوضاعه في قالب أدبي رفيع، هدفه تنوير الوعي الجماعي، ومعالجة الأزمات الاجتماعية.

كما تعود جذور الأولى للنقد الاجتماعي إلى عصر اليونان الذي يتميز بمفهوم "المحاكاة" الذي ظهرت عند أفلاطون وصوّرها بعده تلميذه أرسطو، اللذان يرجعان شعر الملاحم، والكوميديا والتراجيديا إلى نوع من أنواع محاكاة الواقع[1].

وكذلك "فيكو" في القرن الثامن عشر (18) الذي عني بملامح هوميروس، التي تكشف جوانب من الظواهر الاجتماعية، التي تحيط بهذا الشاعر اليوناني وسار على منوال فيكو هودر[2].

يعتبر المنهج الاجتماعي امتدادا للمنهج التاريخي، ومن حيث التعاقب الزمني جاء المنهج الاجتماعي بمعالمه النقدية بين أحضان المنهج التاريخي، فهو يعتمد على تسليط الضوء على النصوص الحديثة الآنية فقط، وكون الأدب له بعد تاريخي واجتماعي، فهو يمزج بين ما هو سوسيولوجي وتاريخ في نفس الوقت[3].

كما أشرنا سابقا فإنّ الناقدة الفرنسية "مدام دي ستايل" تعد من أوائل لهذا الاتجاه من خلال كتابها، الذي يعتبر محاولة ترتبط فيها بين مفهومي الأدب والمجتمع، حيث تتناول في مدخل كتابها إلى أهمية الدين والعادات والقوانين في الأدب، وكذلك مدى تأثير الأدب في الدين والقوانين من جهة أخرى[4].

1- ينظر: محمد حافظ دياب، النقد الأدبي وعلم الاجتماع (مقدمة نظرية)، مجلة فصول، المجلد 4، العدد 1، 1983، ص 60.

2- ينظر: إبراهيم حمادة، مقالات في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، (دط)، 1982، ص 61.

3- ينظر: وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007، ص 34-36.

4- ينظر: أزاده منتظري، محمد خاقاتي، منصوره زركوب، النقد الاجتماعي للأدب نشأته وتطوره، إضاءات نقدية، السنة الثانية، العدد السادس، 2012، ص 11.

يقول ماركس "ليس البشر هو الذي يحدد وجودهم، بل إنّ وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم"[1].

والرواية حسب باختين هي تمثل للطبقات الدنيا المحرومة، ويظهر ذلك جليّا من خلال المحاكاة الساخرة، ولقد درس هذا الناقد أعمال رابليه ودوستوفسكي[2].

وهناك فريق من النقاد وعلى رأسهم لوكاتش وجيرار، ولوسيان غولدمان، يرون أنّ التحليل الاجتماعي للأدب يقوم على ثلاثة محاور هي "البناء الاجتماعي، والمضمون، والبناء الفنّي لشكل هذا النوع الأدبي"[3].

ويعتبر غولدمان من النقاد الماركسيين الذين ركزوا على التفسير المادي للأدب، فقد "قدم فرضية لن يتحول عنها أبدا، وستظل على أساس منهجه: بالنسبة للمادية التاريخية، يكمن العنصر الأساسي في دراسة الإبداع الأدبي في أنّ الأدب والفلسفة هما على صعد مختلفة، تعبيرات عن رؤية العالم، وإنّ الرؤى حول العالم ليست وقائع فردية، بل اجتماعية"[4].

1- رامان سلدان، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998، ص 49.

2- ينظر: محمد عزام، فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1996، ص 139.

3- عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3، 2005، ص 37.

4- جان إيف ناديبه، النقد الأدبي في القرن العشرين، تر: قاسم المقداد، ص 239.

4- مبادئ المنهج الاجتماعي:

يقوم المنهج الاجتماعي على مجموعة من المبادئ أهمها:

أ- تتكون الحياة الاجتماعية من بنية دنيا وبنية عليا ويقصد ببنية العليا بنظم السياسية والثقافية وهذه البنية عادت إنتاج البنية الدنيا في المجتمع وهي تحدد العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والفكرة للمجتمع[1].

ب- إنّ الأب ينتمي إلى البنية العليا التي هي جزء من المذهب الفكري لكل طبقة من طبقات المجتمع، ويعد قوى من القوى الاجتماعية التي لها دور إيجابي في المجتمع.

ج- ربط الأدب بالمجتمع والنظر إليه على أنّه لسان المجتمع، فالأدب صورة العصر والمجتمع والأعمال الأدبية، وثائق تاريخية واجتماعية[2].

د- يفهم الأدب فهما فكل ظاهرة من ظواهره هي ظاهرة مادية تحتها ظروف اقتصادية تدفع إلى الكفاح من أجل الحياة.

هـ- المنهج الاجتماعي يدرس تأثير الجماعة بالقيمة الجمالية ويعلي من قيمة الكاتب ويرى عمله شقا جيدا من العروف المجتمع.

5- موقف الأديب من قضايا المجتمع:

إنّ انتماء المؤلف إلى طبقة اجتماعية معينة من بين الحقائق الواضحة في المجتمع، لكن ينبغي التمييز بين نوعين من الانتماء:

1- محمد صايل حمدان، قضايا النقد الحديث، ص 100.

2- ينظر: وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي، 2007، ص 39.

الانتماء الاجتماعي والاقتصادي والانتماء الإيديولوجي، فالأول يمكن دراسته عن طريق الوضع الاقتصادي والمهني، فهناك علاقة وثيقة بين الوسيلة التي يتعيش منها الكاتب وبين الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها.

فالأدب وحده لا يستطيع أن يكفل الحياة للمؤلف، حيث أنّ معظم الأدباء ينتمون إلى أبسط الأسر، وبالتالي لا مفر من امتهانهم مهنة أو وظيفة معينة بجانب عملهم الأدبي وعلى الرغم مما يدعيه البعض أمثال الناقد الفرنسي "جاتيون بيكون" أنّ معظم الأدباء ينتمون إلى الطبقة البرجوازية وينتجون أدبا يستهلكه البرجوازيون ونادرون هم الكتاب والفنانون الذين خرجوا من صميم الشعب[1].

لكن في أي حال من الأحوال ليس من الضروري لكي يكون الفرد فنانا أو كاتبا أن يبتعد عن الشعب، وينتمي بدرجة ما إلى البرجوازية، حيث أنّ لكل طبقة فنانيها وكتابها، كما أنّ الكاتب أو الفنان –بوجه عام– يتمنى أن يعيش كما لو كان ينتمي إلى طبقة مسيطرة لكني لا يعني انتماءهم إلى طبقة يعينها دون أخرى. إذن لا يمكن القول أن الكاتب الذي ينتمي إلى طبقة معينة حتما يعبر عنها ويدافع ويناضل من أجلها.

فهناك كتاب برجوازيون رفضوا القيم البرجوازية وهاجموها بمنتهى العنف، وبشروا بقيم طبقة جديدة –غير موجودة في السلطة آنذاك– ولكنهم يأملون أن "تصل إلى السلطة لكي تسود قيمها"[2]، وبالتالي نكون أمام ما يطلق عليه "بالخيانة الطبقية" والتي يقصد بها تخلي الكاتب عن الطبقة التي ينتمي إليها وتبنيه طبقة اجتماعية أخرى.

إضافة إلى أنّ في الأدب المصري، نجد كثير من الأدباء الذين حاكوا واقعهم الاجتماعي ودافعوا عنه لدرجة اتهامهم بتحيزهم الشديد لطبقة دون غيرها فأدين "إحسان عبد القدوس" "لأنّه

1– السيد يسين: التحليل الاجتماعي للأدب، ص 69.

2– المرجع نفسه، ص 69.

عكس أفكار "طبقته الراقية"، فأثار الشفقة عليها، كما أدين البطل "المازني" في شخصية "إبراهيم الكاتب" لأنّه عكس أوهام البيئة الإقطاعية، واتهمت رواية "أهل الكهف" لتوفيق الحكيم بالرجعية، لأنّها عكست فهمها مصريا للزمن يرتبط بأشد العصور نكوصا ورجعية"[1].

أما "النوع الثاني من الانتماء فهو ما يعرف بالانتماء الإيديولوجي"[2]، حيث أنّ الإيديولوجيا استخدمت في علم الاجتماع للإشارة إلى المعتقدات والأفكار التي تميز جماعة بعينها، ومن المعروف أنّ الأفكار تختلف من مكان لآخر ومن حقبة إلى أخرى في المجتمع الواحد، أو من طبقة لأخرى داخل المجتمع.

وبالتالي فكل كاتب يعبر عن إيديولوجيته من خلال أعماله الأدبية، وليس من الضروري أن يعبر الكاتب عن إيديولوجية الطبقة التي ينتمي إليها.

فهناك بعض الكتاب الذين ينتمون إلى الطبقة البرجوازية الصغيرة، ولكنهم يؤمنون بالإيديولوجية الاشتراكية.

إذن لابد من أن يساهم الكاتب بقلمه في عملية التنمية الاجتماعية والثقافية لمجتمعه، فالكاتب مسؤول عن عملية التغيير الاجتماعي مسؤولية لا تقل عن المعلم أو السياسي أو رجل الدين... الخ.

ولكن يكون الكاتب على قدر هذه المسؤولية لابد من توافر الشروط التالية:

أولا: "التأكيد على ضرورة الثقافة الفلسفية والاجتماعية المتعمقة للأديب.

1- جابر عصفور، المرايا المتجاورة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (دط)، 1983، ص 113.

2- الإيديولوجيا: كمفهوم سوسيولوجي ظهر في فرنسا لأول مرة، ويعني علم الأفكار أو دراستها، واستخدمت في أول الأمر لتشير إلى نمط من الفلسفة كان شائعا في نهاية القرن 18 وبداية القرن 19.
جون بلامنياتر: الإيديولوجية، مفاهيمها وتطورها في الواقع التاريخي والسياسي، تر: إسماعيل سعد، دار المعارف الجامعية، 1990، ص 15.

ثانيا: متابعة الكاتب لسياسة بلاده في الميدان الثقافي، ويتبع ما تتفقه الدولة في المجال بالمقياس إلى ميادين أخرى، وبالتالي يتاح له التعرف على عدد الأميين والقراء ونوعيتهم، والمساعدة على التعرف أيضا والإطلاع على نوعية المثقفين.

ثالثا: ينبغي على الأديب تتبع ما ينشر في بلاده من مجلات وكتب وصحف وبرامج إذاعية سواء كانت سمعية أو مرئية، وما يعرض على الجمهور من أفلام سينمائية أجنبية أو وطنية، ويدرسها من حيث الكم والكيف، والصلاحية والخصوبة في المضمون الفكري والأخلاقي والفني"[1].

رابعا: تتبع التجارب الثقافية في البلدان الأجنبية، وما كان منها ناجحا أو فاشلا.

خامسا: من خلال التتبع للواقع الثقافي في بلاده، وخارج بلاده، إضافة إلى الكشف عن ماهية العلاقة بين التعليم الديني والتعليم الأجنبي، ومن مهام الأديب تصور مشاكل الغد، ومن العمل على تلاقيها منذ اليوم، والأديب أيضا مسؤول عن التفكير في ثقافة ما بعد عصره ونجاحه في تحقيق مجتمع منسجم في الغد.

سادسا: على الأديب المشاركة في التفكير باقتراح الوسائل العلمية التي تمكن الجمهور من التحصل على أكبر قدر ممكن من الثقافة مثل: توزيع المكتبات في الأحياء الشعبية، تنظيم العمل للموظفين والعمال... لأنّ الأديب الناجح يخلق جمهوره من العدم، لا بمادته الإنتاجية المشوقة فقط.

سابعا: هذا الجهد الذي يجب أن يبذله الأديب في تكوين نفسه، وتكوين جمهوره لا يمكنه الإدعاء بأنّه سيغير المجتمع، أو يحمله على تغيير نفسه بين عشية وضحاها إضافة إلى الوسائل التي لا يمكن تحقيقها من طرف الأديب بكل سهولة ويسر، ولكن مما لا شك فيه أنّ مجرد توجيه المجتمع

1- ينظر: المرجع نفسه، ص 72.

إلى التفكير في مجمل هذه الأمور سيجعله يتولى بنفسه خلق هذه الوسائل بمجرد أن يتحقق لديه الوعي بقيمتها[1].

ثامنا: ينبغي على الأديب أن لا يعتمد في خلق هذه الوسائل كلها على إقناع السلطة السياسية بضرورة توفيرها، بل يستطيع في الكثير منها أن يعتمد على المجتمع نفسه.

تاسعا: لا شك في أنّ الأديب بخلقه جمهورا متحمسا للثقافة واعيا بقيمتها يجعل المجتمع يغذي نفسه ثقافيا، وجدير بالذكر أنّ "ابن خلدون" قد لفت الانتباه إلى العلاقة بين الأدب والتعليم والثقافة وأشار إلى أنّ ضعف الحياة الأدبية في بلاد المغرب راجع إلى ضعف التعليم بالنسبة لما عليه في بلاد المشرق والأندلس[2].

عاشرا: يجب أن تعطى حرية الرأي والفكر للأديب، للتعبير بقلمه دون قيود من قبل جماعة معينة، ولاشك في أن حرية الأديب الصحيحة هو أن يكتب للجماهير لا عنهم يتوجه إليهم بتصوير حالهم ووضعهم الاجتماعي وتحويل هذا الوضع من حالة الشعور الغامض إلى حالة الإدراك الواعي، لأنّ الوعي يوجه للمجتمع إلى الدفاع عن حريته.

فهذه النقاط العشر توضح أهمية ودور الأديب في مجال التنمية الثقافية داخل المجتمع، فالأديب هو الفن في الأمة بتهذيب عاداتها وتلطيف إحساسها، وهم ساسة أخلاق الأمم[3].

1- المرجع نفسه، ص 74.

2- عبد الله شريط: المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، 1981، ص 188.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 75، 76.

الفصل الثاني:
الأبعاد الاجتماعية التي تعالجها الرواية "رجل في الخمسين"

الفصل الثاني:

الأبعاد الاجتماعية التي تعالجها الرواية "رجل في الخمسين"

1- ملخص الرواية.

2- الأبعاد الاجتماعية في الرواية.

3- وصف سلوكات الشخصيات في الرواية:

- التعريف بالشخصية من منظور النقد الاجتماعي.

4- الشخصيات الرئيسية.

الشخصيات الثانوية.

1- ملخص الرواية:

تنطلق الرواية من العتبة التالية:

"طوبى للأحياء الذين يرون قصص حياتهم، فيدونون تفاصلها قبل أن يبتاغهم الموت ويقبر معهم ذلك الثراء من الوقائع والأحاسيس التي بدونها تصبح الحياة عبثية وبلا معنى. له حكاية فريدة التي قصها علينا.

اسمه إبراهيم وعمره خمسون عاما، قد يقول بعضهم بأنّه لا يزال من عمره سنوات أخرى ولم يحن وقت تدوين سيرته بعد، إنّ الخمسين التي عاشها قد تساوي في حجم مآسيها، قرن أو أزيد من الزمن.

لا تقاس الحياة بعدد سنواتها وإنّما بعدد أحداثها من الرجال من يعش ثمانين حولا ولا يجد في ذاكرته ما يرويه لأحفاده، وآخرون لم يتجاوزوا العشرين وقد أطبقت قصصهم الآفاق وأبهرت الناس.

بدأ يبوح بأنّه نجا من الموت مرارا وبأعجوبة لا تصدق وأنّ حياته مليئة بالأحداث الفريدة التي لا تحدث إلاّ نادرا.

إنّه يدون لنا حياته وحياة عائلته وحياة الناس من حوله أرادها حكاية تغوص في ماص سحيق حكاية تسترجع أزمنة، بها من القصص المأسوية ما يبعث الحزن واليأس ومن القصص السعيدة ما يدخل في النفوس الأمل وحب الحياة، مأساة تليها سعادة، تليها مأساة وتستمر الحياة.

قصة تروي فواجع كثيرة، فواجع رجل في الخمسين، يبحر نحو الشمال على ظهر سفينة "طارق بن زياد" دون أن يسعى بأن يكون طارقا فقط يبحث عن مكان للخلاص وعن عشق ضيعه.

تروي فواجع بلد كان به حلم كبير فوجد نفسه فجأة غارقا في شقاق أخويه كان ينسفه من جذوره. وتسترجع (الحكايات) فاجعة سليم التومي آخر ملوك الجزائر، ومأساة شاعر يدعى "جان

سيناك" وروائي يدعى "ألبير كامي" وحكايات أخرى منها قصة ذلك العربي أو الأمازيغي الذي أبعده "أوجين دولاكروا" وقام بإقصائه من لوحته "نساء الجزائر في مخادعهن" إنّها حكايات بها شخصيات ومخلوقات تتعذب وتجعلنا نعاني بدورنا ونتأسى، ونتعذب معها حتى نعرف قيمة الحياة.

إنّ الحياة في النهاية ليست سوى مجموعة من الحكايات العجيبة والغريبة نرويها على بعضنا نحكي لكي نستمر في البقاء.

نفهم من هذا المدخل أنّ ما يرويه الكاتب السارد لا يرتبط فقط بحياته الشخصية بل يضم حكايات عن تاريخ البلد من منطلق ما علق بذاكرته من مرويات يستقيها من كتب التاريخ ومن ما يرويه الناس من حوله.

فإنّ رواية رجل في الخمسين "لا تتوقف عند ذات الكاتب بل تتعدها لتروي حكايات عن التاريخ والمجتمع. لقد حاول حميد عبد القادر تجاوز أزمة رواية التسعينات، وهو يدخل حكايات أخرى في عمله الروائي من منطلق هوس البطل (إبراهيم) بالتاريخ وتحوله لكاتب سيناريو، وهو ما مكنه من سرد تفاصيل عن تاريخ البلد وحكاية طارق بن زياد وغيرها من الحكايات التي جاءت في المتن الروائي.

تروي رواية "رجل في الخمسين" قصة إبراهيم الذي يقرر وهو عند سنّ الخمسين مغادرة البلد والسفر إلى فرنسا بحثا عن امرأة (أميرة أنوار) التي تعتبر بمثابة حبه الأول. تعرف عليها حين كان يدرس في باريس وهو في سنّ العشرين وقرر حينما العودة إلى البلد حتى يساهم في النضال ضد التطرف. وهذا ما ندركه من الجملة التالية «ما بعد ذلك الزمن !» سعيد وبهي، ها أنا أعود إليه، أبحث عما تبقى منه كمن يعود إلى فردوس مفقود يعيد له ما ضاع من سنوات عمره بسبب إخفاقات متكررة في الحياة، أعود إليها بحثا عن أميرة أنوار التي تركتها وحيدة وأنا معها في نصف

الطريق، بعد أن عشقتها، وبادلتني العشق بمشاعر صادقة لكنني تركتها وعدت إلى البلد دون أن أنهي دراستي".

تدور أحداث الرواية على مدى 18 ساعة، هو زمن الرحلة على متن الباخرة "طارق بن زياد" بين الجزائر العاصمة ومارسيليا وطيلة هذه المدة الزمنية يطرح إبراهيم على نفسه السؤال التالي «لماذا قررت الرّحيل» ومن هذا السؤال تتفرع حكايات فرعية وثانوية، تكمل الحكاية الرئيسية وهي حكاية تدور حول إخفاقات إبراهيم في الحياة التي أوصلته إلى الطلاق من زوجته بعد فشل علاقته الزوجية، ومن الحكايات التي يستعيدها إبراهيم البطل الرئيسي للرواية وهو في غرفته بالباخرة "طارق بن زياد" التي تقطع البحر وسط العاصفة تلك التي تغوص في التاريخ.

ومنذ البدء يخبرنا إبراهيم بما يلي: «الباخرة طارق بن زياد التي أبحرت على متنها مع غروب الشمس من ميناء الجزائري متوجها إلى مرسيليا تشق عباب البحر وسط قوة العاصفة، تسافر بي إلى أميرة أنوار، رأسا إلى ما تبقى من ذلك الزمن البهي لما كان عمري عشرين عاما، تداعبني الحياة بخفة وسلاسة، ولا تشعرني بأي ثقل ولا ملل، وأنا في جامعة "السوربون" في ريعان الشباب، أدرس الأدب وطريقة العيش الأمريكية، وأحلم بأن أصبح كاتبا وأحاول تعلم طريقة الكتابة الأدبية، كنت أستمتع للناس من حولي، شباب جاء في باريس وهو يحلم بالكتابة مثلي، بعضهم يحدثني عن "مارسيل بروست"وآخر عن "دستويفسكي، وآخر عن غوستاف فلوبير كانت تدور بيننا في مقاه عديمة الإضاءة وإلى غاية ساعات متأخرة من الليل، أحاديث لا تنتهي عن تقليد هذا الكاتب أو ذاك من أجل تعلم الكتابة الأدبية، لكنني مغ مضي الوقت أدركت أنّ كلامهم مجرد نظريات، فطريق الأدب مختلف تماما ».

ندرك منذ البدء أنّ شخصية إبراهيم شخصية مثقفة ينتمي للتيار الليبرالي، اكتسب طيلة السبعينات ومطلع الثمانيات من القرن 20 ثقافة غربية، في إحالة من الكاتب إلى الثقافة التي كانت منتشرة في البلد خلال تلك المرحلة.

انتشرت هذه الرواية انتشارا كبيرا، على غرار كثير من الروايات الحداثية (بالخصوص رواية "عولسيس" للكاتب الإيرلندي جيمس جويس) فتنفتح على التاريخ القريب والبعيد إلى درجة أنّ شخصيات تاريخية كبيرة تحضر في الرواية من زاوية القراءة وقد وصل الراوي لهذه الحالة السردية، وهو في غرفته بالباخرة، يستحضر عبر الفلاش باك (وهي تقنية روائية ابتكرها روائي تيار الوعي مع فيرجينيا وولف) حياته الماضية فيعود لسرد ما جرى في حي "سان كلو" الذي ولد به، فيسرد تفاصيل الحياة، وهو نرى أن الكاتب حميد عبد القادر عاد للموضوع المثير لديه، والذي تناوله في رواية سابقة هي رواية "توابل المدينة" التي تعتبر بمثابة رواية حول تاريخ ومصير البرجوازية الجزائرية، موضوع البرجوازية نعثر عليه في رواية "رجل في الخمسين" عبر حكايات فرعية يرويها البطل إبراهيم، وهو يستعيد حياة الناس في حي سان كلو، قبل انتشار ظاهرة التطرف الديني لتتحول الرواية إلى ما نسميه بالرواية المضادة للتاريخ.

فمن خلال سرد تفاصيل عن حياته الزوجية، يتوقف إبراهيم عند لوحة أودين دولاكروا الشهيرة "نساء الجزائر في مخدعهن" التي رسمها بعد زيارته للجزائر سنة 1838. اللوحة يقرأها البطل فيحاول تقديم الوجه الحقيقي للفنان الفرنسي الذي رافق عملية الغزو ورسم لوحته لخدمة الاستعمار ونقرأ في الرواية ما يلي "كنت دائما أتساءل مع نفسي وأنا أحدق في هذه اللوحة التي اشتريتها وأنا في سن الثلاثين مع صديقي الفنان سعيد مختار، بينما كان يتأهب للهجرة إلى السويد بلا رجعة وقد تلقى رسالة تهديد بالقتل وجعلته يخاف على حياته ويصاب بالفزع. منت اسأل نفسي "هل كان يمكن تصور نجاح الحملة الفرنسية والغزو على الجزائر من دون دولاكروا؟ هذا الفنان

الشيطان الذي قدم نساء المدينة الجزائر كمادة للإغراء والإغواء لفرنسيين محرومين من كل متاع الدنيا.

يعيد البطل قراءة جزء من تاريخ البلد قراءة مغايرة كما يظهر في الرواية، ليس بطلا كما تخبرنا كتب التاريخ (الغربي) بل مجرد تابع للإمبراطورية الرومانية فأصدر عدّة فتاوى تذهب إلى قتل كل الأمازيغ الذين رفضوا مسايرة التصورات الدينية.

لا يوجد حكاية واحدة في رواية "رجل في الخمسين" فهي ليست رواية تقليدية، ولم تكتب وفق الطريقة التقليدية للرواية، بل يوجد بها حكايات عديدة تتوالد على مدى 18 ساعة. هي الفترة الزمنية بين الجزائر العاصمة ومرسيليا والمسألة الوحيدة فيها هي السؤال التالي: "لماذا قررت الرحيل ؟" والأجوبة الكثيرة عن هذا السؤال هي ما يشكل المتن السردي المتعدد لهذه الرواية.

كما يمكن اعتبار رواية "رجل في الخمسين" كرواية عارفة من منطلق أنّها لا ينفتح على تفاصيل الحياة فقط بل تعتبر نافذة على الحياة الثقافية، في البلد خلال مرحلة التسعينات عبر عودة البطل السارد إلى حادثة ألبير كامي التي دار حولها نقاش كبير بمناسبة الذكرى الأولى لميلاد صاحب رواية "الغريب".

كما يقف عند مأساة الشاعر "جاك سيناك" وهو الشاعر من الأقدام السوداء، ووقف إلى جانب الجزائريين في نضالهم ضد الاستعمار على خلاف الروائي ألبير كامي.

تستمر الشخصية المحورية (إبراهيم) في البوح والاعتراف وهو في غرفته بالباخرة فيعود إلى طفولته وبذلك تعود فترة السبعينات كفترة وصفها بالذهبية مركزا على مكانة البورجوازية هذه الفئة من الناس اختلط بها إبراهيم فتكونت لديه تصورات ثقافية مختلفة عن التصورات الرسمية فأصبحت من أنصار النزعة الليبرالية.

ويقدم الكاتب شخصيته المحورية كإنسان متأثر بالثقافة الأمريكية ويتخذ من السينما والأفلام الأمريكية التي كانت تعرض في القاعات السينما خلال تلك الفترة، مكانا لتنشئة الثقافية التي يمكن تسميتها بالثقافة المضادة.

يسرد البطل (إبراهيم) التنشئة الثقافية لجيل بكامله،وله الجيل بعد الاستقلال وكيف تكونت هذه الثقافة الليبرالية التي أوصلت شخصيات أخرى في الرواية (على غرار شخصيات عبد السلام) للاختيار الهجرة والسفر إلى كندا، بحثا عن تحقيق أحلامه، وتجسيد أفكاره بعد أن انتشر التطرف مع مطلع التسعينات.

فاختار العيش في بلدة قصبة بمدينة "مونتريال" بين الغابات والأنهار وهو الذي قضى جزء من شبابه متأثرا بطريقة العيش الأمريكية، لا يتوقف إبراهيم عن البوح والاعتراف وهو في غرفته بالباخرة التي تمخر عباب البحر وسط العاصفة، يستعيد اضطراب علاقاته الزوجية وطلاقه واختياره لنمط حياة بوهيمي بعد الطلاق.

وندرك من بين الأسباب التي دفعته إلى الطلاق خلافات إيديولوجية مع زوجته التي اختارت طريق التشدد بالدين فراحت ترمي وتحرق كل ما هو موجود في البيت، فأحرقت لوحات فنية، لوحة "نساء الجزائر في مخدعهن" ورمت تماثيل (نيفرتيني) هما سبب الطلاق والانفصال النهائي.

2- الأبعاد التي تناولتها الرواية:

أ- البعد النفسي:

إنّ هذا البعد يحدد مدى تأثير الغرائز في سلوك هذه الشخصيات من انفعال أو هدوء من حب وكره وروح الانتقام أو التسامح، وهل هي شخصية اجتماعية، أو انطوائية على نفسها، معقدة أو خيالية، من العقد، لأنّ الشخصية الانطوائية لا تستطيع أن تتحول بين ليلة وضحاها إلى شخصية متفتحة ومريحة، إنّ هذا الجانب يدرس فيه الكاتب مشكلات شخصيات النفسية.

فالرواية ميدان واسع لكي يغوص القاص في أعماق شخصياته ويبرز منها كل صغيرة وكبيرة، فالقصة على حد قول أحد الباحثين المجال الأول في ميدان الأدب للتحليل والوصف، بحيث أنّ هذا الدخول إلى العالم الداخلي للشخصيات وتصوير نفسيتهم وأذهانهم مهم جدا للغوص في أعماقها الداخلية والكشف بالصدق عما يدور في داخل الشخصية على غرار التصوير الخارجي الذي لا يتفق مع صدق الفني.

حسب بعض النقاد، لذلك اتجهوا بدلا من ذلك إلى واقع الأشياء الخارجية في أذهان الشخصيات، لكشف تأثير العوامل الخارجية على نفسيتهم[1].

- الحالة النفسية لإبراهيم بعد خلافاته مع زوجته:

كان إبراهيم سعيدا بزواجه مع نسيمة راض بحياة عادية، عاش كما اقتضى القدر، لديه رغبة في الاستقرار بشكل دائم مع زوجته، لكن مع مرور الوقت اتضح أنّ هناك خلافات إيديولوجية بينهما أدت إلى الطلاق والانفصال «مع مرور الوقت، تعودت على حالة العزلة لم تعد زوجتي حاضرة في حياتي إطلاقا، حتى غداء "الويكاند" الذي كان يجمعنا، لم يعد قائما في حياتنا.

1- ينظر: عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، مجلة كلية الأداب، العدد 102، قسم اللغة العربية، جامعة صلاح الدين، أربيل، العراق، ص 50.

في هذه الأثناء بالذات، عاودني الحنين لأميرة أنوار للعشق الذي ضيعته صرت أفكر فيها كثيرا»[1].

بعد طلاق إبراهيم من زوجته نسيمة بقي لوحده وأصبح يفكر في أميرة أنوار «شعرت بالألم جراء ذلك. أسال نفسي... لماذا يقترن الحب دائما وأبدا بالألم ؟ تأكدت، مما لا يدع أي مجال للشك، أنّ أميرة بقيت تسكن ذاتي، ولن تبرحها أبدا»[2].

حيث كان إبراهيم لم ينسى عشقه الأول لأميرة أنوار وأراد أن يتخلص من وحدته «وأنّني سائر نحو العودة لعشق قديم، للتخلص من عزلتي الآنية»[3].

- الحالة النفسية لإبراهيم في التسعينات:

كانت حالة إبراهيم في زمن التسعينات مليئة بالكآبة والحزن الدائم، والمأساة، وهو داخل الفندق الذي يقيم فيه، إذ كان يعيش في ضيق في ذاك الفندق بأوضاعه المزرية «الحياة في الفندق متعبة، بها شقاوة نفسية كبيرة. شعور دائم بالحزن والضجر والعزلة بين أربعة جدران ملأني كآبة وأرقا»[4].

لم يتعود إبراهيم على تحمل المتاعب والآلام، حيث كان لديه أحلام «صعب أن يتحمل مشقتها من كان يعيش حرا في تنقلاته بين البحر والغابة، حرا طليقا مليئا بالأحلام، يصطاد السمك في الخريف، والمطر يهطل عليه، ويضع الأقفاص لطيور في الغابة شتاءا، عند غدير ماء متدفق، ويتمرغ في الحقول في الربيع»[5].

1- حميد عبد القادر، رجل في الخمسين، دار منشورات البرزخ للنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، 2019، ص 26.
2- الرواية، ص 27.
3- الرواية، صفحة نفسها.
4- الرواية، ص 39.
5- الرواية، صفحة نفسها.

عادوا إلى البلد، يرددون مبررين تخاذلهم «كانت قلوبنا تنزف دما كلما سمعنا أخبار الاغتيالات والتفجيرات. كنا نحس بوخز الضمير لأنّنا رحلنا وتركناكم في الوحل، تواجهون الموت لوحدكم»[1].

ب- البعد الاجتماعي:

يمكن فهم هذا البعد من خلال النّص، فهي التي تساعدنا في فهمه فهو يتعلق بالجانب الاجتماعي للشخصية من منشأ وبيئة وثقافة، أي مكان ولادته وتربيته ودرجة ثقافته، إن كان متعلما أو جاهلا، ومنزلته الاجتماعية سواء كان فقيرا أو غنيا[2].

كما يحتوي هذا الجانب الذي من انشغالاته الشخصية إمّا تكون الشخصية أميرا، عاملا، فلاحا وهذه المراكز الاجتماعية لها أهميتها البالغة في بناء الشخصيات، وتبرير سلوكها فكل مجتمع له مشكلة والكاتب الملتزم يجب أن يسخر كتاباته لتحليل الأوضاع الاجتماعية. وإظهار الفساد في المجتمع عن طريق تسخير شخصياته لنقد الواقع المعاش[3]. ومنه فإنّ البعد الاجتماعي يعتبر مهم في كسف التفاصيل حول الشخصية.

يتجلى البعد الأساسي لهذه الرواية في محاولة جعل الصوت الفرج أساسيا في الرواية، فعلى خلاف رواية السبعينات مثلا نرى المجتمع في رواية "رجل في الخمسين" من خلال الفرد، وليس من خلال الجماعة من بين أهم أبعاد الرواية كذلك محاولة الوقوف عند التاريخ الهامشي والمهمشين، الذي لفظهم التاريخ الرسمي، ولم يتطرق لهم، بل تركهم عند الهامش بسبب خلافات

1- الرواية، ص 39.

2- ينظر: عبد الله خمار، تقنيات الدراسة في الرواية (العلاقات الإنسانية)، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 2001، ص 27.

3- ينظر: علي عبد الله، تقنيات بناء الشخصية، ص 52.

إيديولوجية وهؤلاء المهمشين الذين يقصدهم الكاتب في روايته فئة البورجوازية الذين رفضوا مسايرة الخيارات الاشتراكية للبلد في السبعينات.

فعن الرواية في بعدها الأساسي عبارة عن محاولة لنقل صوت فئة اجتماعية همشها الخطاب الرسمي، هي فئة البورجوازية الوطنية التي ساهمت في المجهود الثوري والتحقت بالثورة وجبهة التحرير الوطني مع التحاق فرحات عباس سنة 1955 «يتكلم بها هؤلاء البورجوازيون الذين بقدر ما كان بحدودهم ذلك الشعور بالفخر لأنهم ساهموا في المجهود الثوري، حيث اختفى سبعة عشر من أبنائهم في ظروف غامضة أثناء الحرب بعد أن اختطفهم مظليو الجنرال ماسو الرهيب وسلمهم لرائد دموي يدعى أوساريس الفظيع»[1].

2- وصف سلوكات الشخصيات في الرواية:

- **التعريف بالشخصية من منظور النقد الاجتماعي:**

يعتبر دارسوا الاجتماع أنّ الشخصية، أحد المفاهيم والركائز الأساسية الجوهرية المقيمة للحقيقة الاجتماعية، فالمجتمع عبارة عن نظام أو كنسق متبادل بين الأفراد، ولهذا لا نستطيع أن نعزل فرد عن المجتمع الذي يعيش فيه والذي نشأ فيه.

وفي هذا الشأن يرى يبسانر "أنّ الشخصية تنظيم يقوم على أساس عادات الشخص، وهي تنبثق من خلال العوامل البيولوجية والاجتماعية والثقافية".

في حين يرى كل من "أوجيرن" و"نيمكوف" "أنّ الشخصية تعني التكامل النفسي والاجتماعي لسلوك عند الكائن الإنساني، الذي يعبر عن العادات والشعور والاتجاهات والأداء"[2].

1- الرواية، ص 146-147.

2- يوسف مراد، مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط7، 1978، ص 71.

4- الشخصيات الرئيسية:

تلعب الشخصية الرئيسية دور مهم في تطور الأحداث، وهي التي تدور حولها أو بها أحداث الرواية، كما أنّها تتحكم في الشخصيات الأخرى أكثر منه، لأنّها "الشخصية الفنية التي يصطفيها القاص لتمثل ما أراد تصويره أو ما أراد التعبير عنه من أفكار وأحاسيس"[1].

فهو يمنحها أكثر حرية ويعطيها عناية فائقة لأنّها هي المحرك للعمل الروائي ويمكن التعرف على الشخصية الرئيسية من خلال الوظائف المسندة إليها، حيث "تسند للبطل وظائف وأدوار لا تسند إلى الشخصيات الأخرى، وغالبا ما تكون هذه مثمنة (مفضلة) داخل الثقافة والمجتمع"[2].

هذه المكانة تميزها عن غيرها وتجعلها في الصدارة من حيث عناية الكاتب فهي الأساس في فهم مضمون العمل الروائي وحياة الشخصيات تكمن في قدرة الكاتب على ربطها بالحدث وتفاعلها.

- **إبراهيم (البطل):**

رجل في الخمسين، مثقف، يعمل في الصحافة، يكتب السيناريو، مطلق، قارئ للرواية، كائن نوستالجي، يحن للماضي كثيرا، يعاني من أزمات نفسية كثيرة جراء تبخر أحلامه ولا يملك القدرة الكافية للتأقلم مع الواقع المتأزم، جراء التحولات التي عرفها المجتمع منذ مطلع الألفية الثانية بسبب تراجع القيم، ومن بين مميزاته أنّه مثقف نفدي يقرأ الواقع قراءة نقدية، وحتى التاريخ الذي يستعيده في المتن الروائي يقرأه بصيغة نقدية «تروي فواجع بلد كان به حلم كبير... فوجد نفسه فجأة غارقا في شقاق أخويه ينسفه من جذوره، تسترجع (الحكايات) فاجعة سليم تومي، آخر ملوك

1- شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، (دط)، 2009، ص 45.

2- محمد بوعزة، الدليل إلى التحليل السردي (تقنيات ومناهج)، دار الحرف، ط1، 2007، ص 53.

الجزائر، وحظه العاثر. ومأساة شاعر اسمه "جاك سيناك"... وروائي "ألبير كامي"... وحكايات أخرى، منها قصة ذلك العربي أو الأمازيغي الذي أبعده "أوجين دولاكروا"، وقام بإقصائه من لوحته "نساء الجزائر في مخدعهن" إنها حكايات الظلال الماضية والأزمنة الغابرة، بها شخصيات ومخلوقات تتلظى وتتعذب، وتجعلنا نعاني بدورنا ونتأسى، ونتعذب معها، حتى نعرف قيمة الحياة»[1].

إنّ الحياة في النهاية ليست سوى مجموعة من الحكايات العجيبة والغريبة، نرويها على مسامع بعضنا، بعد أن عايشناها بكل جوارحنا «لا يترك أثرا في الحياة، بعد أن يمضي، سوى من يملك هذه القدرة العجيبة على الحكي، الحكي سر وهبة لا يحظى بهما سوى نفر قليل جدا من الناس»[2].

- **زوجته نسيمة:**

تنتمي نسيمة لطبقة العاملة والدها يساري سابق أصبح متشددا دينيا، تصبح هي بدورها مع أنصار التشدد: «ابنة العربي الغمري، وهو كاتب شيوعي في مرحلة الشباب، أصبح قوميا عروبيا، ثم إسلاميا بعد السبعين، سمعته يردد ذات يوم «أن تظل شيوعيا، وأنت تقترب من القبر، جنون وهلاك مبين»[3].

بدورها تضطرب علاقاتها مع زوجها، تحيل هذه الشخصية إلى حالة تشدد الديني التي برزت في المجتمع الجزائري. وهي شخصية غير متسامحة أوصلها عدم الإنجاب إلى الانغلاق على نفسها، ثم التوجه نحو التشدد، يطلقها إبراهيم بسبب خلافات إيديولوجية بينهما «تغلق باب

1- الرواية، ص 8.
2- الرواية، ص 9.
3- الرواية، ص 21.

الصالون بشدة تتوجه مباشرة لغرفتها، تغلق بابها على نفسها وتستمع لموسيقى كلاسيكية حزينة»[1].

أنّ زوجته منعت نفسها عنه، ففضلت العزلة وتركه لوحده «مر شهر كامل على الحال. ذات يوم أذكر أنّه الجمعة بينما كانت عائدة من مسجد الحي، حيث أصبحت تصلي، طلبت منها أن تجلس لكي نتحدث حول وضعنا، فقلت لها، دون الاستماع إليها، ومنحها أي فرصة للحديث "لقد اتخذت قرار الطلاق"، فردت ببرود: "وذلك ما كنت أنتظره"، طلقتها هكذا بسهولة»[2].

- **عبد السلام:**

متأثر بنمط الحياة الأمريكية، يهاجر نحو كندا ويموت هناك وحيدا، يلتقي مع السارد من حيث تأثره بالثقافة الأمريكية، كثقافة مضادة لثقافة الاشتراكية التي كانت منتشرة في البلاد، على المستوى الرسمي والتي يمثلها "خميس الخاوي": «سألت عن صديقي عبد السلام، الذي قضيت معه طفولتي، وجزءا كبيرا من شبابي، فجاءتني أخباره مخيبة للغاية. قيل لي: "هاجر إلى كندا ومات هناك". استقر في "كونتري" نائية تبعد عن موتريال ومات وحيدا في بيته»[3].

كان إبراهيم يبحث عن صديقه عبد السلام الذي قضى معظم أوقاته الطفولية معه، وعز شبابه، إذ بعد البحث الطويل عنه تبين له أنّه هاجر إلى كندا واستقر هناك ومات هناك.

5- الشخصيات الثانوية:

تقوم الشخصيات الثانوية مقارنة بالشخصيات الرئيسية بالدور المحدود وغالبا ما تكون وظيفتها أقل قيمة من الشخصية الرئيسية، كما أنّها تضيء الجوانب الخفية أو المجهولة لشخصية

1- الرواية، ص 25.
2- الرواية ص 32-33.
3- الرواية، ص 57.

الرئيسية، (فهي "التي تقوم بدور معين ثم تختفي ويكون ذكرها في الرواية نادرا أي تكتفي بوظيفة مرحلية"[1].

كما أنّها "قد تكون صديق لشخصية الرئيسية أو إحدى الشخصيات التي تظهر في المشهد فحين لآخر، وقد تكون بدور تكميلي مساعد للبطل أو معيق له، وغالبا ما تظهر في سياق أحداث أو مشاهد لا أهمية لها في الحكي"[2].

وبهذا تكون أقل تعقيدا من الشخصية الرئيسية وترسم بشكل سطحي وبالتالي لا تحظى بالاهتمام الكبير، ولكنها تبقى عنصر مهم وحيوي في البناء الروائي.

ويجب علينا التمييز بين الشخصية الرئيسية والثانوية وهذا ما ذهب إليه عبد المالك مرتاض حيث قال: "الحق أنّنا لا نضطر في العادة إلى الاحتكام إلى الإحصاء من أجل معرفة الشخصية المركزية من غيرها، وإنّما الإحصاء يؤكد ملاحظتنا كما تظهرنا بدقة على ترتيب الشخصيات داخل عمل السردي ما، وهذا إجراء منهجي إلى جدته في عالم التحليل الروائي مثمر حتما، وإذا كنا لا نفتقر بمألوف العادة، إلى الإحصاء للحكم بمركزية الشخصية من أول قراءة للنص السردي، فإنّ ذلك يعني أنّ الملاحظة هي أيضا إجراء منهجي، ولكنها قاصرة ولا تملك البرهان الصارم لإثبات سعيها"[3].

- **خميسي الخاوي:**

شخصية متسلطة تمارس الرقابة على أهل حي سان كلو، تدور به أحداث الرواية «كان خميسي، يعيش أكثر لحظات عمره فيها، وعدم قدرة على مسايرة التوجهات الجديدة للبلد، بالأخص

1- ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)، المركز الثقافي العربي، دار البضاء، المغرب، ط2، 2009، ص 215.

2- محمد بوعزة، الدليل إلى التحليل السردي (تقنيات ومناهج)، ص 57.

3- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيسمائية مركبة لرواية زقاق النذق)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، (د-ط)، 1995، ص 143.

بعد أن عاد السيد الرئيس الذي خلف العقيد المتوفي من أمريكا، محملا بمسلسل "دلاس" كهدية من "رونالد ريغان" "الكوبويز" الذي أصبح رئيسا لبلاد العم "صام" فأحدثت ثورة حقيقية غير منتظرة البتة في سلوكيات الناس»[1]. إذ راحوا يكتشفون شخصيات تلفزيونية مدهشة تستنهض غرائزهم الجنسية، وتقدس الملكية الفردية وتتصارع من أجل التملك والثروة.

- **سوكا:**

فتاة يتعرف عليها إبراهيم في نزل، ذهب ليعيش فيه خلال التسعينات حين كان مهددا هي بدورها شخصية مثقفة وقارئة لرواية تخوض مع السارد في واقع الكتابة الروائية.

باعتبار "سوكا" من الفتيات الجميلات التي تميزها عن غيرها من الفتيات «"سوكا" فتاة فريدة. في غاية البهاء والوسامة، متوسطة القامة، رشيقة، شعرها أشقر مثل لون بشرتها، عيناها عسليتان، صدرها دائري واقف، عشقتها منذ أول لقاء بيننا في الفندق»[2].

إذ تركت دراستها الجامعية في سنة التخرج كانت تحضرها.

- **أميرة أنوار:**

تعرف عليها إبراهيم حين كان يعيش بباريس في مطلع التسعينات، هي شخصية مثقفة درست مع السارد في جامعة السوربون «لما كان عمري عشرين عاما، تداعبني الحياة بخفة وسلاسة ولا تشعرني بأي ثقل ولا ملل وأنا في جامعة "السوربون" في ريعان الشباب، أدرس الأدب، وأنا في العيش الأمريكية، وأحلم بأن أصبح كاتبا وأحاول تعلم الطريقة الكتابة الأمريكية، كنت أستمع لناس من حولي، شباب جاء إلى باريس وهو يحلم للكتابة مثلي»[3].

1- حميد عبد القادر، رجل في الخمسين ص 59.

2- الرواية، ص 47-48.

3- الرواية، ص 11.

مع مرور الوقت أدرك إبراهيم أنّ كلام الناس مجرد نظريات لأنّ طريق الأدب مختلف تماما.

تقرر الانفصال من إبراهيم بمجرد قرر العودة إلى البلد لمحاربة التطرف الفكري الذي انتشر في البلد «أدركت أميرة تعكر صفوي وسوى حاالي ذلك اليوم، فسألتني عن السبب قلت لها ..."سأعود إلى البلد"...»[1].

لما عرفت أميرة أنوار بعودة إبراهيم إلى البلد اتسمت لديها علامات الدهشة على وجهها، وشعرت بالقلق والحيرة، ما أدى إلى استياء وضعها والشعور بالألم جراء فراقها مع إبراهيم.

- **أم إبراهيم:**

من عائلة بورجوازية سابقا تزوجت والد إبراهيم الذي لا ينتمي لنفس الانتماء الاجتماعي في إيحالة من الروائي إلى التحولات الاجتماعية التي حصلت بعد الاستقلال، كنتيجة للخيار الاشتراكي. «والدتي سيدة بورجوازية تزوجت من والدي العامل في مصنع بعد أن أساءت أوضاع عائلتها، لكنها احتفظت بطباع سيدة من العائلات الراقية، قبل زواجها من والدي انخرطت في مدرسة الموسيقى الواقعة بشارع هونوري دوبلزاك، بالقرب من شارع الماريشال بيجو، بمدينة روبير فيل، لتعلم العزف على البيانو»[2].

كانت أم إبراهيم من بين الطبقات الراقية، بعدها زواجها من والد إبراهيم الذي كان يعمل في المصنع، ساءت أوضاعهم ولكن بالرغم من كل هذا احتفظت بمكانتها الراقية والسامية.

1- الرواية، ص 13.

2- الرواية، ص 144.

- **الحاج أرزقي جد إبراهيم (والد أمه):**

ناضل إلى جانب فرحات عباس قبل الثورة، التحق الثورة وساهم في المجهود الثوري، بعد الاستقلال فقد أملاكه بسبب سياسات التأميم التي انتهجها النظام الاشتراكي «لم يغادر جدي البيت إلاّ بعد عشرة أيام، خرج منكسرا، بلحية كثة وملابس غير مكوية، راح يجلس قبالة قاعة سينما (الشرق)، لوحده في طاولة منوية بمقهى (الكواكب)، ويقضي الوقت في التأمل، حزن حزنا مؤلما، وقد تعمق حزنه أكثر بعد انقضاء سبع سنوات على تأميم قاعة السينما، حين وصله قرار تأميم قطعة أرض شاسعة، تركها له والده بقرية آث منديل، ليس بعيدا عن واد الصومام، وبتأميم الأرض خسر جدي ما تبقى له من أملاك»[1].

إذ شعر بعدها بألم شديد في القلب، حيث راودته ألام وهو على فراشه، وردد على مسامعها بالقبائلية وهو يبتسم «شيزمرت تيف الملك، أين يروحن، إيروح، أورديتوغال (الصحة تفوق الملكية، والذي افتقدناه لن يعود أبدا)» [2].

ويتبين لنا من خلال هذا القول أنّ صحة الإنسان تفوق كل شيء وليس سوى الصحة في هذه الدنيا، فالملك بدون صحة الإنسان لا قيمة لها.

- **مصطفى مداوروش:**

أستاذ جامعي معادي لروائي ألبير كامي يستعيد مع البطل الظروف التي كتب فيها روايته الشهيرة "الغريب"، وتدور بينهما حديث حول عالمه الروائي يقول إبراهيم في حوار مع مصطفى

1- الرواية، ص 136.

2- الرواية، صفحة نفسها.

استرسل في الحديث «علينا أن نتكلم عن كامي، وحول كامي مع هؤلاء، لأنّ حياته تلخص مأساة الكونونيالية مأساة الإنسان الذي يصبح غريبا في أرض ليست له»[1].

إذ كان كامي في رواية "الغريب" لم يخدم "الكولونيالية" بل بالعكس انتقده وفضحه.

- **موسى سيد علي:**

عاش ظروف ما قبل حرب التحرير قريبا من الكولون ولما قامت الثورة لم يشارك فيها، فتشكلت فيه مأساة حقيقية لأنّه لم يشارك في المجهود الثوري في الاستعمار «لما قامت الثورة، التحق أخي عزوز بالجبل حاملا السلاح ضد الاستعمار انفصل عن الزعيم وانضم إلى جماعة المجاهدين»[2].

وتنتهي قصة موسى المثيرة في أوقات متأخرة من الليل، فموسى كان يروي قصته دون الانتباه بأنّ الجميع غادروا المكان«كان موسى ينهي قصتع المثيرة للشفقة في ساعات متأخرة من الليل، كان الزبائن في الغالب قد غادروا البار جميعا، دون أن ينتبه لهم، ينسحبون في صمت بلا جلبة ولا ضجيج»[3].

بحيث كان موسى يروي قصته أحيانا قليلة فقط، لذلك كان يتركه لحاله ولا يزعجه، ولم يكن ينزل على رؤوسهم المتعتعة بالسكر.

- **خال إبراهيم:**

عمر المدعو لحمر، وهو يساري من أنصار الرئيس أحمد بن بلة، يختلف عن خال آخر لإبراهيم وهو "مقران" وهذا يساري حقيقي وليس بانتهازي، يقرر الهجرة نحو أمريكا بعد أن عجز عن مسايرة الوضع العام خلال مرحلة السبعينات، وهو شخصية مثقفة.

1- الرواية، ص 77.
2- الرواية، ص 66.
3- الرواية، ص 69.

يساري لكنه منفتح عن الأدب والفكر الإنساني، غير متشدد باليسار مثل شقيقه الأصغر عمر، بواسطته يستعيد إبراهيم مظاهر الحياة الثقافية في السبعينات.

خال إبراهيم «كان ينظر إلى الأمور بشكل مغاير تماما ساعدته مرحلة الحرب في جبل خدو، ومكنته من اكتشاف شعراء اليساريين من لويس أراغون، وتريستيان تزارا، إلى بابلو نيرواد»[1].

ويتبين من خلال هذا القول أنّ خال إبراهيم كان ينظر إلى الأمور بشكل مختلف تماما، إذ ساعدته مرحلة الحرب، واكتشافه لشعراء اليساريين.

إذ كان يروي لنا إبراهيم أنّ خاله من الشعراء الأتراك، بوصفه كان يحب القراءة والكتابة، ويميل إلى العزف على الكمان.

وشاعر تركي كان يقرأ له كثيرا اسمه ناظم حكمت (سمعته مرات عديدة يردد مقولته الشهيرة: «إذا بقيت سالما سأكتب على الجدران وفوق الأرصفة في الساحات العامة أشعاري، وسأعزف على الكمان في ليالي العيد لمن يبقون من المعركة الأخيرة، وكذلك سأعزف على الأرصفة المغمورة لضياء ليلة رائعة للذين يغنون أغاني جديدة لناس في الخطوات الجديدة»[2].

كان خال إبراهيم يعرض أفلاما لشارلي شابلين ويردد بأنّه أعظم الممثلين السينمائيين على الإطلاق، فيعتبره من الشيوعيون بقوله: «شابلن هو الشيوعي الوحيد في العالم، وهو رمز الإنسان المتشرد الفقير الذي يبحث عن لقمة يومه وفي سعيه لذلك يتخطى كل من يحول دون تلم اللقمة، سواء كان شرطيا لا يرحم، أو غنيا متعجرفا من الطبقة الراقية»[3].

1- الرواية، ص 137.

2-الرواية، ص 137.

3- الرواية، صفحة نفسها.

خاتمة

خاتمـــــة:

في ختامنا لهذا البحث المتواضع، وبعد الرحلة الطويلة من الكشف والإطلاع بدراساتنا لرواية "رجل في الخمسين" لحميد عبد القادر من المنظور الاجتماعي، ومن خلال ما سبق توصلنا إلى بعض النتائج تمثلت فيما يلي:

1- يترجم عنوان رواية "رجل في الخمسين" لروائي حميد عبد القادر مأساة الفرد وسط خيارات جماعية لا تتماشى بالضرورة مع أحلامه وتطلعاته، مما يثير لديه" نوستالجيا" تربطه بماضيه.

2- المنهج الاجتماعي منهج يقوم بدراسة الظواهر الاجتماعية، حيث يدرس الظروف المحيطة والمؤثرة للمؤلف التي جعلت منه كاتبا وشاعرا.

3- تنوع مفاهيم النقد الاجتماعي واختلافه من ناقد إلى آخر، بتقديم كل واحد منهم تعريف خاص به حسب زاوية نظره.

4- تعددت المظاهرة الاجتماعية في الرواية حيث نقلت لنا وقائع المجتمع الجزائري.

5- ركز "حميد عبد القادر" في روايته على الوصف الداخلي لشخصيات ناقلا مشاعرها، وهواجسها واضطراباتها النفسية.

6- رواية "رجل في الخمسين" مازجت بين الواقع الاجتماعي من خلال تأثير العوامل النفسية والاجتماعية ودورها في الصراع مع الواقع.

7- الرواية تعبت مع تشعب حياة وتجارب بطلها إبراهيم.

8- ونؤكد أنّ الروائي حميد عبد القادر استطاع أن ينقل لنا المظاهر الاجتماعية التي عاشها وجسدّها في روايته "رجل في الخمسين" حق تجسيد ولقد وفق على ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

- **المصـــــــادر:**

1- حميد عبد القادر رواية رجل في الخمسين ، دار منشورات البرزخ للنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، 2019.

- **المراجـــــع:**

2- إبراهيم حمادة، مقالات في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، (دط)، 1982.

3- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط2، 2009.

4- سمير حجازي، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

5- السيد يسين، التحليل الاجتماعي للأدب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1982.

6- شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، (دط)، 2009.

7- شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.

8- شوقي ضيف، في البحث الأدبي (طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره)، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د.س).

9- صلاح فضل، مناج النقد المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرف، دمشق، سوريا، ط1،2007.

10- صلاح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، أسئلة ومقاربات سوريا،، ط1، 2015.

11- عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الأداب، القاهرة ط3، 2005.

12- عبد الله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، 1981.

13- عبد الله خمار، تقنيات الدراسة في الرواية (العلاقات الإنسانية)، دار الكتاب العربي، الجزائر، (دط)، 2001.

14- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية، سيميائية مركبة للرواية رقاق المدق)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون الجزائر، (د-ط)، 1995.

15- عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2008.

16- محمد بوعزة، الدليل إلى التحليل السردي(تقنيات ومناهج)، دار الحرف، ط1، 2007.

17- محمد سعيد فرح، مصطفى خلف عبد الجواد، علم الاجتماع الأدب، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009.

18- محمد صايل حمدان، قضايا النقد الحديث، دار الأمر للنشر والتوزيع، الأردن، ط1،1991.

19- محمد عزام، فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في الأدب)، نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1996.

20- محمد علي البدوي، علم اجتماع الأدب (النظرية والمنهج والموضوع)، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، (دط)، 2011.

21- محمد لبيدي، علم اجتماع الأدب، دار المعرفة الجامعية، السويس، (دط)، 2004.

22- وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007.

23- يوسف مراد، مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط7، 1978.

• **كتب المترجمة:**

24- أنريك أندرسون أمبريت، مناهج النقد الأدبي، تر: طاهر أحمد مكي، دار المعرفة الجامعية، السويس، (دط)، 2000.

25- جان إيف ناديه، النقد الأدبي في القرن العشرين، تر: قاسم المقداد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، (دط)، 1992.

26- جابر عصفور، المرايا المتجاورة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (دط)، 1983.

27- جون بلا منياتر، الإيديولوجية، مفاهيمها وتطورها في الواقع التاريخي والسياسي، تر: إسماعيل سعد، دار المعارف الجامعية، 1990.

28- رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998.

• **المجلات:**

29- محمد حافظ دياب، النقد الأدبي وعلم الاجتماع (مقدمة نظرية). مجلة فصول، المجلد 4، العدد 1، 1983.

30- عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، مجلة كلية الأداب، العدد 102، قسم اللغة العربية، جامعة صلاح الدين، أربيل، العراق.

31- أزاده منتظرى، محمد خاقاتي، منصوره زركوب، النقد الاجتماعي للأدب، نشأته، وتطوره، إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، السنة الثانية، العدد السادس، 2012.

• **الموقع الانترنت:**

32- عبد القادر لمسارب، أنا كاتب أمازيغي ولا أتصور نفسي غير ذلك، موقع مجلة لمسارن، نشر بتاريخ: 2012/02/13، أطلع عليه في: 22 يونيو 2015، نسخة محفوظة 2016/12/20، على الموقع واي باك مشين.

الـفـهـرس

فهرس الموضوعات

دعاء

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة 1-2

مدخل: الحياة الفكرية لحميد عبد القادر

1- نشأته وتكوينه 5

2- أهم مؤلفاته 6

الفصل الأول: علاقة علم الاجتماع بالأدب

1- علاقة علم اجتماع بالأدب 9

2- مفهوم المنهج الاجتماعي 13

3- نشأة المنهج الاجتماعي 16

4- مبادئ المنهج الاجتماعي 19

5- موقف الأديب من قضايا المجتمع 19

الفصل الثاني: الأبعاد الاجتماعية التي تتناولها الرواية "رجل في الخمسين"

1- ملخص الرواية 26

2- الأبعاد الاجتماعية في الرواية 32

3- وصف سلوكات الشخصيات في الرواية 35

- تعريف بالشخصية من منظور النقد الاجتماعي 35

4- الشخصيات الرئيسية 36

5- الشخصيات الثانوية 38

خاتمة 46

قائمة المصادر والمراجع 48

فهرس الموضوعات 52